

في مؤتمر المحامين العرب

وزير مصر بمهرود للجمعية العربية

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف



التعارف سبيل التآلف في الميول والرغبات ، والتفاهم على المقاصد والغايات ، والأخذ بأسباب الوحدة الوطنية الأكيدة ، وإذا قلت التعارف فلست أقصد ما يجري من ذلك على الأوضاع الرسمية والتقاليد الدبلوماسية ، وإنما أعني التعارف الذي تتقارب به الأرواح ، وتمازج فيه العواطف ، وتتضامن به الفكر والغايات ، فيكون كل فرد في دائرته قبلة صاحبه ووجهته ، ويكون الجميع في هذه الدائرة حلقة متماسكة لا تفصل ، وقوة متساندة لا تآين ، ووجهة واحدة في تحقيق الخير الشامل والصالح العام

هذا التعارف أحوج ما نكون إليه الأمم العربية ، وهي في هذا الطور تنشده الوحدة بين أفرادها ، والتعاون بين حكوماتها ، والتآلف بين أبنائها ، والتضامن القوي للجميع في تحقيق الآمال المشتركة والأغراض المتفقة والغايات المنشودة . وإذا كانت تلك الأقطار ظلت نحو ربع قرن من الزمان وهي تكافح في هذا السبيل ، فإن كل أمة بقيت في هذا الكفاح محصورة في ميدانها ، ولم يكن يربطها في ذلك إلا زيارت وزير تجرى على الوضع الرسمي ، أو نقلة كبير يقوم بها عبر سبيل إن سخ أن يكون هذا رابطاً بين الأشقاء الخالصاء .

وفي الفترة الأخيرة فطنت الأمة العربية إلى ما يجب عليها في هذا الشأن من توطيد التعارف وتبادل العواطف ، ورأت أن خير ما يؤدي إلى هذا السبيل هو عقد المؤتمرات العامة ليلتقي بذلك قادتها وزعمائها ، وليكون مدعاة تقاربها وامتزاجها بما يتم من تبادل الرأي وتضامن الأفسكار في تحليل المسائل الهامة وتذليل العقبات الصعبة ، والتغلب على ما يقف في سبيل نهوضها . وإننا لنكتب هذه السطور وقلوبنا مفعمة بالغبطة والبهجة لعقد

مؤتمر المحامين العرب الذي دعت إليه سوريا ، فتم على صورة رائمة موفقة دلت على الصدق والإخلاص في الأخذ بأسباب نهضة شاملة ووحدة جامعة ، وبقظة تملأ النفوس والقلوب ، وإذا كانت سوريا قد أحسنت في الدعوة إلى عقد هذا المؤتمر الهام في هدفه وغايته ، وإذا كانت قد أحسنت مرة أخرى ، إذ دعت إليه جهابذة القانون وعلماء التشريع في مصر ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ، فنهضوا إلى تلبية دعوتها الكريمة بخورين مبهلين ، فإن مصر قد أحسنت من جانبها كل الإحسان ، إذ رأت أن يكون رئيس الوفد المصري في هذه السفارة وزير العدل ، ثم أحسنت كذلك مرة أخرى إذ اختارت صاحب المال الأستاذ محمد صبري أبو علم باشا بذاته ، ليكون رسول أمته في تبليغ أمانها وتوضيح غاياتها بين وفود المروية في هذا المؤتمر ، فإنه بعقله وحكمته ، وبما حباه الله من سعة الإدراك والمواهب ، وبما تم له من شرف السمعة وقوة الخبرة أبلغ ما يكون في تبليغ الرسالة ، وأقدر ما يكون لحمل الأمانة ، وأوفى ما يجب لتمثيل مصر الزعيمة بين وفود الأقطار الشقيقة

أحسنت مصر كل الإحسان ووفقت حكومتها كل التوفيق في اختيار معالي صبري باشا في هذه المهمة نظراً لما اكتمل بشخصيته من بلاغة الحجج ، وبراعة التعبير ، ودقة البحث وعمقه في ميدان التشريع ، ثم هو في ميدان الدعوة للعربية يمتلي غيرة وحماسة ، ويتدفق إيماناً بالحق ويقيناً بالصدق ، مما رسع له في المنزلة والسكينة في قلوب أبناء الأقطار الشقيقة ؛ فكاهم له أخ وصديق ، وهو لهم جميعاً أخ وصديق ، لهم في قلبه وفي نفسه ما له في قلوبهم وفي نفوسهم ، ولا ريب أنه كان يعبر عن ذات نفسه أصدق تعبير ، إذ قال عند سفره : « إنني بانتقالى إلى سوريا أنتقل إلى قطعة من مصر وأهل هم من أبناء مصر » ، لأنه هكذا يرى في كل قطر من أقطار العربية وهكذا إحساسه نحو أبناء المروية . ولقد كانت لفظة بارعة من هذا الفطن اللبق ، إذ تقدم إلى فخامة رئيس الجمهورية السورية سهدية متواضعة في قيمتها ، ولكنها عظيمة في دلالتها . أجل لقد قدم إلى فخامته مسبوحة

يا نخامة الرئيس

يجتمع حولك في هذه القاعة ممثلو البلاد العربية ، وإن احتياهم في هذه الظروف وفي هذه المناسبة لفياض بالعلماني والحياش بالحقائق ، هاتف بالرجاء في المستقبل ، عازف بالأحسان الأمل السام ، هابط برسالة المجد والسلام ، ناشر لصحيفة من الصحف الأولى ، صحب الأولين الخالدين من أبطال التاريخ العربي المجيد

نجتمع هنا في هذه القاعة حاملين إلى نخامتكم ، وإلى حكومتكم ، وإلى كل أمة ممثلة هنا صورة من الآمال التي نحذرنا ، وآية من المجد الذي ينادينا ، ونوراً من الإصلاح الذي نعقر به نوادينا ، نجتمع لا لنستلهم مجداً فردياً . ولا لنستمطر النجم على بلد دون آخر . إن لساننا ليهتف مع الشاعر العربي إذ يقول :
ولو أني حبيت الخلد فرداً لسا أحببت بالخلد لغيراداً
فلا هطلت على ولا بأرضي سحائب ليس تنظم البلادا
وإن الوحدة التي يفيها المحامون المجتمعون هنا للتسريع هدفاً وغاية هي صورة مصغرة للوحدة التي تبتغيها الأمم العربية في الحياة مثلاً أعلى وحصناً تحتمي فيه عند كل ملته ، ويقدّر ما يصادف هذا المؤتمر من توفيق ونجاح تفتح أبواب الخير لمشروع الوحدة العربية ، وإننا إن شاء الله لوصلون إلى تحقيق هذا المشروع ؛ فإن مشروعاً عظيماً كهذا تحقق من حوله قلوب الملايين من أبناء الأمم العربية داعية سهلة وتولاه أيدي كرام الزعماء الذين وضعوا أيديهم في يد زعيم مصر رفعة بصطفى النحاس باشا بعد أن طاهدوه على العمل لإنقاذه وجعله حقيقة لمشروع مكتوب له التحقيق والتوفيق إن شاء الله

وهذا كلام طيب بما لا كل نفس مخلص بالغبطة ، ولقد كان وقعه في نفوس المؤتمرين جديلاً إذ قابلوه بالتصفيق والثناء تحية لمصر المجاهدة وتقديراً لوزيرها الصادق الأمين وإكباراً لظهورها الموفق السديد ، ولن يسع كل عربي مخلص إلا أن يكبر للمنى المقصود في هذا الكلام وأن يسأل الله تحقيق الأمل فيه .

محمد فستحي عبد اللطيف

حجازية ، وماذا تكون قيمة السبحة مهما بلغت ، إلا أنها جلب من الحجاز الشقيق ، فهي إشارة لها مغزاها ومعناها في الحرص على جمع الشمل ، وتوطيد الوحدة الجامعة ، وإلا فما كان أهون على الوزير أن يختارها هدية منسوبة إلى مصر ، ولكنه يرى أن مصر والحجاز وسوريا وسائر الأقطار الشقيقة كلها وطن العروبة ، وكل ما فيها عام للجميع .

بهذا الشعور الفياض الدافق قصد معالي صبري باشا إلى ملاقاته أبناء العروبة في سوريا ، ويمثل هذا الشعور اليقظ النابض تلقود مرحبين متبهجين يرون في صورته صورة مصر الزعيمة الأمينة ، ويلمسون في إحساسه الشريف إحساس مصر الصادقة النيور ؛ فهو ينزل فيهم على الرحب والسعة ، ويعنى على الإكرام والتكريم ؛ فاستقبله نخامة الرئيس استقبالا يفيض بالمحبة والمودة ، ودعاه الوزراء والكبراء إلى حفلات تكريم هي مظهر الصداقة والأخوة ، وصدرت الصحف كلها مزدانة بصورته ، تطرى فيه عالماً جليلاً وقائداً مجاهداً ووزيراً مشرعاً ورسولاً كريماً من الكنانة الخالدة إلى شقيقها المحبة المخلص ؛ فإذا يكون هذا كله وما الغرض منه والدافع إليه إلا أنها عواطف أبناء العروبة ، فصحت على الأخاء واستوت على الرضاء ، وإلا أنها منزلة كريمة لمصر بين شقيقاتها من الأمم رفيع لواءها زعيم مصر ويؤدى رسالتها وزير مصر

لقد تجلّى هذا الشعور كأوضح ما يكون في موقف الوزير في حفلة افتتاح المؤتمر ليؤدى تحية النيل — على حد تعبيره — إلى بردى والفرات وفلسطين ولبنان وشرق الأردن مقرونة بالإعجاب وعرفان الجليل . فلم يقف في أداء هذه التحية عند واجب الجمالة الكلامية ، بل ولم يقف عند الحدود الرسومة لمباحث المؤتمر ومداولاته ، ولكنه امتد في التحية بما تطمع إليه مصر وما ترجوه لشقيقاتها من الخير وما تمنى أن يكون من عقد المؤتمرات النافعة المثمرة ، إذ قال في خطبته موجهاً الخطاب إلى نخامة رئيس الجمهورية السورية ورجال حكومتها الأماجد وأعضاء المؤتمر :